هاجس الوطن في ديوان "حديث الهدهد"

د. مجدي بن عيد الأحمدي*

تاريخ تقديم البحث: ١/٧ /٢٠٢٠م. تاريخ قبول البحث:١٥/٦/٢٠٢٠م.

ملخص

هدفتِ الدّراسةُ إلى تتبّعِ هاجسِ الوطنِ في ديوانِ "حديثُ الهدهدِ" للشّاعر محمّد جبر الحربيّ، مستعينةً الاستدعاءِ والتّناصِّ في العنوانِ الرئيسِ وعنواناتِ القصائدِ ومضامينِها، وجلّت الدراسةُ دورَ الاستدعاءِ والتّناصِ في تعزيزِ هذا الهاجسِ الّذي رافقَ الشاعرَ، كما كشفَتِ الدراسةُ الدلالاتِ المتواريةَ خلفَ الشخصياتِ المستدعاة، والتقطت الأبعادَ الكامنةَ في الأبياتِ الشعريةِ المتقاطعةِ مع قصائدِه، لتدلّلَ على أنّ هذا الاستثمارَ جاء متّسقًا ونسقَ الهاجسِ، مرتبطًا بالوطن العربيّ، وما يحدثُ فيه من تداعياتٍ، أدّت إلى البحثِ عن الحكمة، التي رأى الشاعر أنّها غائبةٌ عن هذا الوطن، لكنّه وجدَها عند الهدهد، ليكتشف أنّ الأخطاءَ التي ارتكبتْها الأمّةُ أقلُّ بكثير ممّا تعرضت له من خسائرَ ومصائبَ، تجلّت كبرى هذه المصائبِ في ضياعِ فلسطينَ، التي نسجَ من رمزيّتها كلَّ ما أرادَ تبيانَه من أفكار.

الكلمات المفاتيح: التناص–الاستدعاء–الشخصيات–العنوان–الهدهد

* قسم اللغة العربية، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Obsession with the Homeland in Hadeeth Al-Hudhud (Hoopoe's Speech) Collection

Dr. Majdi bin Eid Al-Ahmadi

Abstract

The purpose of this study is to track the premonition of the homeland in the Hoopoe Talks "Hadeeth AlHudhud" in the poems' collection that was written by the poet Muhammad Jaber Al-Harbi, by using summons'and intertextuality's tools in the collection's main title, the poems' titles, and their contents. The study showed in detail the roles of summons and intertextuality in reinforcing this premonition that predominated the poet. As the study revealed hidden indications behind the summoned characters and picked the inherent dimensions of poetic verses in his poems, to demonstrate that this investment was consistent with the premonition mode, linked to the Arab world, and its repercussions. It led to a search for wisdom, which Al-Harbi did not find it on this homeland, but found it with Hoopoe. Then, he discovered that the mistakes committed by the nation are much less than what the nation suffered from losses and calamities, and the greatest of these calamities manifested in lost Palestine, which woven from its symbolism all that he wanted to show from his ideas.

Keywords: Intertextuality- recollection-characters-title-Hudhud (Hoopoes)

مدخل:

تقف هذه الدراسة على هاجس يُسيطر على الإنسان العربي، ويترك أثرًا في داخله، يتمثّل في الإحساس بالوطن العربي، وما تعانيه الأمّة العربية، وتختلف ردة الفعل من شخص لآخر، كما يتفاوت التعاطي مع الأحداث، والأديب يمتلك الأداة التي يُعبّر من خلالها عمّا يحتدم في داخله، ويرى الباحث أنّ الشعراء يختلفون في تعاطيهم مع الصراعات في الوطن العربي، وكان الهاجس المتعلّق بالوطن العربي، سببًا لهذه الدراسة من خلال المقاربة بين هذا الهاجس، والتناص، والكشف عن العلاقة بينهما، في ديوان "حديث الهدهد" الصادر عن دار أعراف الرياض عام ٢٠١٠م، للشاعر محمد بن جبر بن جابر الحربي[١].

يُعدّ الهاجس الوطني من المؤثرات في الشعر العربي الحديث، فالوطن هو المكان الذي ينتمي إليه الإنسان انطلاقاً من مكان ولادته والبيئة التي عاش فيها، ويكبر هذا الوطن حتى يشمل الوطن الذي تعيش فيه الأمّة التي ينتمي إليها هذا الإنسان، ومنها يصبح مشاركًا لهذه الأمّة في جميع أحداثها، فالهاجس في المعاجم العربية ورد بمعنى الخاطر، وهجس في صدري شيء يهجس، أي حدس، والهجسُ ما وقع في خَلَدِك، وهَجَسَني عن الأمْرِ، وهو يَهْجِسُني: أي عاقني، ووَقَعُوا في مَهْجُوْسة من أمرهم: أي اختلاط[٢] فالهاجس هو ما سكن الخاطر، وأدّى إلى إشغال المرء فيما حدث، وما سيحدث،

(١) ولد في مدينة الطائف، عام ١٩٥٧م، وعمل في الصحافة السعودية، وكان مؤسسًا لمجلة فواصل مع طلال الرشيد عام ١٩٩٤م، كما أسّس وكالة أعراف الرياض للدعاية والإعلان والنشر والإنتاج عام ٢٠٠٣م، ومجلة "هُنا الرياض" عام ٢٠١٥م، وله عدة دواوين، منها: "بين الصمت والجنون١٩٨٣م"، و "ما لم تقله الحرب١٩٨٥م"، و"خديجة١٩٩٧م"، كما حصل على جائزة وزارة الثقافة والإعلام للكتاب عام ٢٠١٣م عن ديوان "جنان حنايا١٩٨٥" في مجال الشعر، و "أعراف الرياض" في مجال النشر، يُنظر:

- الهمشري، محمد علي، شعراء الخليج، أشعارهم، حياتهم، دار الأهلية للنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م، ص٤١٧.
- الموقع الرسمي للشاعر محمد جبر الحربي:

https://mjharbi.com/index.php/2009-08-07-18-50-19

(٢) يُنظر: -الجوهري، إسماعيل حمّاد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م) **تاج اللغة وصحّاح العربية**، مادة (هـ ج س)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦م.

- ابن منظور، جمال الدين محمد (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، مادة (هـ ج س)، ط٣، دار صادر، بيروت،١٩٩٤م.

أمّا الوطن فهو محلُّ الإنسان، ومنزله الذي يُقيم به[١]، لذا عندما يرتبط الإنسان بوطنه، فالهاجس الذي يؤرقه يتفاوت تأثيره وفق ما يحدث على أرض الوطن، والوطن عند الإنسان العربي لا يمكن تحديده بشكل قطعي، لأنّ الانتماء لهذا الوطن يتوسع، والشكل الآتي يُبين ذلك:

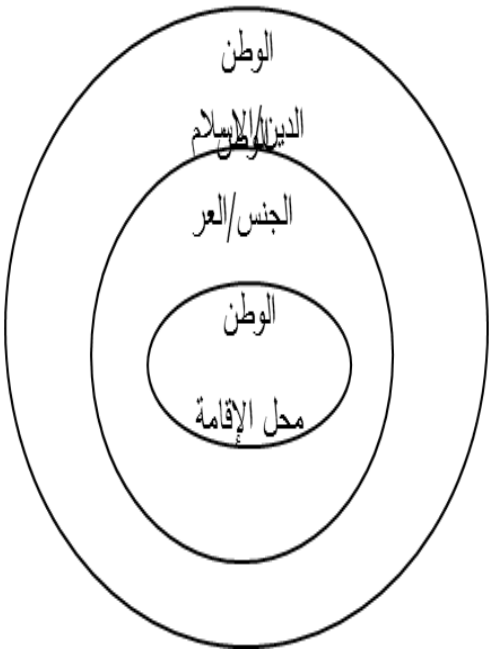

الشكل (١) الانتماء والوطن

فالإنسان العربي–بعامة–تتسع دائرة الانتماء لديه، وفق المعطيات المذكورة في الشكل السابق، والشعراء–بخاصة–تظهر وطنيتهم من خلال القومية التي تُعبّر عن "مجموعة الصفات والمميزات والإرادات التي ألّفت بين العرب، وكونت منهم أمة: كوحدة الموطن، واللغة، والثقافة، والتاريخ، والمطامع...والمصلحة المشتركة"[٢]، فالأمّة "تجد أساسها قبل كلّ شيء في وحدة الأرض"[٣]، ولا يتم ذلك إلّا من خلال الاستقلال، والتحرّر من سلطة الآخر الذي لا ينتمي لهذه الأمّة[٤]، لذا تستهدف

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وط ن).

(٢) أبو نوار، معن، **بين القومية والوطنية**، دار اللام، لندن، ١٩٩١م، ص١٨٩.

(٣) رفاعة، أنور، وآخرون، **دراسات في المجتمع العربي**، مطبعة جامعة دمشق، د.ط، ١٩٦٧م، ص٥٤–٥٥.

(٤) عبدالرزاق، سهلي، ومنير، بين بيتش، **البعد الوطني في شعر حافظ إبراهيم**، رسالة ماجستير، جامعة محمد بو ضياف–المسيلة، الجزائر، ٢٠١٨م، ص١٤.

الدراسة[١] ما جاء في ديوان ((حديث الهدهد))، وهي متعلقة بالدائرة الثانية، المرتبطة بالوطن العربي، وسيعمدُ هذا البحث إلى تتبع هاجس الوطن العربي من خلال التناص.

مفهوم التناص:

التناص من التقنيات التي اسهمت في ثراء النص الأدبي، ومنحت المبدع مساحة، يستطيع أن يستثمرها في إضفاء الدلالات المواكبة؛ لما يختزله من مشاعر، فالتناص عُرف قديمًا، لكنه ظلَّ تحت مُسمّيات، منها: الاقتباس، والتضمين، والأخذ[٢]، إلّا أنّه لم يأخذ البعد الذي يحمله هذا المصطلح، وتُعدُّ (جوليا كرستيفا) أوّل من استخدم هذا المصطلح[٣]، إذ ترى أنّ التناص عبارة عن تقاطعات نصّية من خلال عبارات ووحدات عائدة إلى نصوص مختلفة، فهو "ترحال للنصوص وتداخل نصّي ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى[٤]"، ويُعرّفه محمد مفتاح بأنّه "تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة[٥]، ويقول أحمد الزعبي: "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس، أو التضمين، أو التلميح، أو الإشارة، أو ما شبه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي، وتُدغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[٦]، كما يذكر سعيد علوش عدة

(١) هناك دراسات تتقاطع مع هذه الدراسة، وهي:
- عيسى، راشد، "**الشجن العالي في هدهد الحربي**"، جريدة الرياض، العدد ١٧٠٧١
- القثامية، أمل، **ما بين عنترة والهدهد:** قراءة للسياقات التراثية في شعر محمد جبر الحربي، ١٨ فبراير، ٢٠١٤م
- الحقباني، نداء، **تجليات السرد في ديوان حديث الهدهد للشاعر محمد جبر الحربي**، المجلة العلمية لكلية الآداب، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ع٦٤، ٢٠١٧ ص ٤٧٩.
- الثقفي، منال، **شعر محمد جبر الحربي بين الفكر والفن**، رسالة ماجستير، جامعة الطائف، ٢٠١٣.
- جاسم، محمد، **سيميائية الهدهد**، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد١٤٤-١٤٥، ٢٠٠٨م.

(٢) الرواشدة، سامح، **فضاءات الشعرية** (دراسة في ديوان أمل دنقل)، ط١، المركز القومي للنشر، إربد، ١٩٩٩م، ص٧٧.

(٣) تودوروف، تزفيتان، **في أصول الخطاب النقدي الجديد**، ترجمة: أحمد المديني، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م، ص١٠٢.

(٤) كرستيفا، جوليا، **علم النص**، ترجمة: فريد زاهي، ط٢، دار طوبقال، المغرب، ١٩٩٧م، ص٢١.

(٥) مفتاح محمد، **تحليل الخطاب الشعري**، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٢١.

(٦) الزعبي، أحمد، **التناص: نظريا وتطبيقيا**، ط١، مكتبة الكتاني، أربد، ١٩٩٥م، ص.٩ .

تعريفات[١] للتناص، لا تخرج عن دائرة التعريفات الواردة آنفا، لذا يتبيّن أنّ التعريفات المتعددة تتّفق على "أنّ التناص يتكئ على الثقافة المعرفية، التي تجعل من اللغة ومضامينها وسيلة توصيل"[٢]، وستتناول هذه الدراسة التناص[٣] في هذا الديوان، وتتبع دوره في جانبين:

أولًا: العنوان:

يُعدّ المدخل إلى النصّ باعتباره إحدى عتبات النصّ، ومن خلاله يتم الكشف عن الدلالات، وبات بمثابة النافذة للناقد، التي تُمهّد لدخوله إلى النصّ، وبيان عالمه[٤]، ويرى (جون كوهن) أنّ من أهم وظائف العنوان الأساسية الإسناد والوصل، ويتمّ بواسطته الربط المنطقي[٥]، ويجعل (جيرار جينت) للعنوان أربعة وظائف، تتمثّل في: (التعيين، والوصف، والإيحاء، والإغراء)[٦]، ممّا يدلّ على أنّ العنوان ذو أهمية لا يمكن تجاوزها في الدواوين الشعرية، وتتجلّى للمتلقي في الآتي:

أ-عنوان الديوان:

يعنون الشاعر محمد الحربي ديوانه بـ((حديث الهدهد))، وهذا العنوان يُمثّل استدعاء مكثّفا لعدة أشكال من التناص، بداية من استدعاء الموروث الديني والتاريخي الذي يضمُّ التقاطعات التي تتم بين

(١) يري (سوليرس) كل نص يتموضع في ملتقي نصوص كثيرة، بحيث يعتبر قراءة جديدة تشديداً وتكثيفاً، ويري (فوكو) بأنه لا وجود لتعبير، لا يفترض تعبيراً آخر، يُنظر: علوش، سعيد، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت/ سوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص٢١٥.

(٢) الرواشدة، **فضاءات الشعرية**، ص٧٨.

(٣) هذا المصطلح عند ترجمته للعربية ظهر بعدة مسميات منها:(التناص- النصوصية- تداخل النصوص-النصوص المتداخلة- النص الغائب- النصوص المهاجرة...)، وللتناص أشكال منها: الديني، والأدبي، والتاريخي، والأسطوري، والشعبي، والبعدي.

(٤) يُنظر:- الثامري، ضياء، "العنوان في الشعر العراقي المعاصر: أنماطه ووظائفه"، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، المجلد ٩، العدد٢، ٢٠١٠م، ص١٣.

-حمداوي، جميل، "السيموطقيا والعنونة"، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، المجلد ٢٥، العدد ٣، يناير/مارس ١٩٩٧م، ص٩٦.

(٥) كوهن، جون، **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص١٦١.

(٦) بلعابد، عبدالحق، **عتبات (جيرار جينيت من النصّ إلى المناص)**، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر/ الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٧٨-٨٨.

المبدع وبين ثقافته الدينية والتاريخية، وتتجلّى في نصوصه وعناوينها[١]، ممّا تُسهم في زيادة الدلالات، والإيحاء الأسطوري، يقول راشد عيسى: إنّ هذا العنوان غنيٌ "بالإيحاء والخصب المعرفي الأسطوري"[٢]، فهذا الطائر وحديثه، جاء ذكره في قوله تعالى ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ*لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ*فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ*إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ*وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[٣]، إذ كان الهدهد وسيطا بين النبي سليمان–عليه السّلام– وملكة سبأ، وتقول نداء الحقباني: إنّ الشاعر منذ البداية يحاول إخبار المتلقي بأنّ الحديث سيكون على لسان الهدهد[٤].

فالهدهد من الطيور البارزة التي حكيت حولها الكثير من الأساطير والأخبار، ومن ذلك ما جاء في كتاب الحيوان: بأنّ العرب كانوا يزعمون أنّ (القنزعة)[٥] التي على رأس الهدهد، ثواب من الله عز وجل على ما كان من بره لأمه، إذ جعل قبرها على رأسه، إضافة إلى شهرته كطائر ذي خطوط وألوان كثيرة، والكُنى المتعددة له:(أبو الأخبار–أبو ثمامة–أبو سجاد)، وذكروا أنّ الهدهد كان دليل سليمان على الماء[٦]، وجاء الهدهد في كتاب (منطق الطير) لفريد الدين العطار مرتبطًا بالهداية، وحسن المنطق والسيرة، وصاحب الدليل، ومالك أسرار النبي سليمان عليه السّلام[٧]، فقدّمه العطار على كلّ الطيور، وجعله الوسيط بين الطيور، وطائر(simurgh) السيمرغ[٨]، ويجانس العطّار بين حكمة

(١) الأحمدي، مجدي، **الرؤيا والتشكيل: دراسة في شعر محمد لافي**، ط١، نادي تبوك الأدبي/مؤسسة الانتشار، بيروت، ٢٠١٧م، بيروت، ص١٦٥. بتصرّف.

(٢) عيسى ، راشد، "**الشجن العالي في هدهد الحربي**"، جريدة الرياض، العدد ١٧٠٧١، ٢٠١٥/٣/٢١م: http://www.alriyadh.com/1031925

(٣) سورة النمل، آية ٢٠–٢٥.

(٤) الحقباني، نداء، **تجليات السرد في ديوان حديث الهدهد للشاعر محمد جبر الحربي**، المجلة العلمية لكلية الآداب، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ع٦٤ ، ٢٠١٧ ص ٢٢٣.

(٥) الخُصْلةُ من الشعَر تُتْرَكُ على رأْس الصبيّ، وهي كالذّوائِبِ في نواحي الرأْس، والقَنْزَعةُ التي تتخذها المرأَة على رأْسها، يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ق ز ع).

(٦) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م) **الحيوان**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٢٩٧.

(٧) العطار، فريد الدين، منطق الطير، ترجمة: بديع محمد جمعه، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص١٨٠.

(٨) بالفارسية (simurgh) سمروغ إله الطيور، وأيضًا (سي مرغ)، تعني: ثلاثون طائر

الهدهد، ومحاورته لثلاثين طائر من أجل طلب السمرغ، وهذا دلالة على قيمة هذا الطائر، وامتلاكه للمنطق(١).

إذ يستدعي هذا العنوان ما رسخ في الذاكرة العربية الإسلامية من قصص تدور حول هذا الطائر، بداية من قصة النبي سليمان–عليه السّلام–وبلقيس ملكة سبأ، التي تحوي بعض المعاني الرمزية المتداولة عند العرب قبل الإسلام، فرمزيته القديمة، وبره بوالديه لم تمح من الخطاب الإسلامي، وبها فسر بعض المفسرين نجاته من عقاب سليمان، كما أن اقترانه بالعلم والمعرفة قد تدعم من خلال بعض الأحاديث المأثورة مثل ما رواه ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: ((إنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– نهى عن قتل أربع من الدّواب: النملة والنحلة والهدهد والصرد))(٢)، وهو خطاب يطوق الهدهد بهالة من القداسة(٣)، يقول محمد عجينة: إنّ رمزية الهدهد في قصة سليمان–عليه السّلام– تقترن بدلالتين، هما: دلالة الماء، ودلالة الشمس، كما تقترن بالمُلك إذ كان الهدهد طائر سليمان، وطائر بلقيس، وصاحب تاج يعلو رأسه(٤).

فعنوان الديوان يفتح النصّ للمتلقي؛ لأنّه يتقاطع مع أحداث وروايات تاريخية، ودينية، تجعل كلّ ما جاء في ثنايا الديوان يندرج تحت حديث الهدهد، وهو عودة إلى الماضي من خلال اللجوء لحكمة الهدهد، من أجل التعبير عمّا يجول في خاطر الشاعر، والبحث عمّن يمنح الوطن العربي الحكمة.

ب–عناوين القصائد:

لم تخل العناوين من الاستدعاء التاريخي والديني والأدبي، لذا سيقف البحث على أهم العناوين ذات العلاقة بالتناص، ومنها:

أ– عودة الهدهد:

يُمثّل هذا العنوان ارتباط هذا الطائر بحالة الشاعر، إذ لم يكتف الشاعر بحضور الهدهد في عنوان الديوان، بل يجعله عنوانا لإحدى قصائده، فحديث الهدهد لا يتأكّد إلّا بعودته، وكأنّ الهدهد انبعث من الموت بعد أن قتله الشاعر في الحادثة التي ذكرها، ويرى راشد عيسى: أنّ قصيدة عودة الهدهد هي استمرار لدفق تداعيات الزمن الطفولي في القصيدة الأولى (جبرة) حين استدعى الشاعر طفولة المكان

(١) العطّار، منطق الطير، مرجع سابق، ص١٨٤.

(٢) السجستاني، أبو داود سليمان (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، **سُنن أبي داود**، الجزء السابع، حققه وضبطه وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط١(طبعة خاصة)، حديث ٥٢٦٧، دار الرسالة، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ٥٣٩.

(٣)عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ط١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٣٢٧.

(٤) عجينة، محمد، **حفريات في الأدب والأساطير**، ط١، دار المعرفة للنشر، تونس، ٢٠٠٦م ، ص ١٢٤–١٢٥.

في حنين وجداني يُبعده عن زمن العقل وعذاب الكهولة، فالحنين للمرحلة الطفولية إنما هو عيش وهمي لذيذ ضد حتمية الموت[١]، وهو عنوان يتعاضد مع عنوان الديوان في البحث، وهو أشبه بعنوان فرعي للعنوان الرئيس[٢].

ب-لم أنم:

يرتبط العنوان القائم على جملة النفي، ببيت بشار بن برد:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفى عني الكرى طيفٌ ألم[٣]

إذ يظهر هذا النفي، وعدم القدرة على النوم، متعاضد مع عودة الهدهد وحديثه، وكأنّه لا يستطيع النوم بسبب حديثه مع الهدهد، الذي يندرج تحت هاجس يسيطر عليه تجاه هذا الوطن، وما يحدث فيه من صراعات وتفكك، أدّى إلى استغراقه في الحديث.

ج-فلسطين:

لم تعد فلسطين اسما لمكان؛ بل تجاوزته إلى الرمزية الدالة على ضياع الأمّة، فباتت أيقونة لضعف الأمّة الإسلامية، والشاعر يعنون قصيدته باسم هذا البلد، الذي يسكن في وجدان الإنسان العربي، فالعنوان يستدعي كلّ ما يرتبط به من أحداث وقصص.

د-الخلافة:

هذا العنوان يعود بالذاكرة إلى الوراء، إذ يُمثّل حقبا زمنية من سيطرة الأمّة الإسلامية، المتمثلة في وحدتها وقوتها، وعصورا من الفخر، فالشاعر يحاول الخروج عن الواقع من خلال العودة للماضي، لتسلية النفس عمّا يحدث في الوطن العربي.

هـ-حزن كنعان:

العنوان جاء مخالفًا لما عُرف به الكنعانيون، فالعودة إلى التاريخ تُبيّن أنّ الكنعانيين قاموا بتجريد بني إسرائيل من سلاحهم، ومنعهم من صناعة السلاح "ولم يوجد صانع في كلّ أرض إسرائيل، لأنّ الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً... وكان في يوم الحرب أنّه لم يوجد سيف ولا

(١) عيسى، **الشجن العالي**، http://www.alriyadh.com/1031925 بتصرّف

(٢) الحقباني، تجليات السرد...، مرجع سابق، ص٢٢٣.

(٣) ابن برد، بشار (ت١٦٦هـ/٧٨٥م)، **الديوان**، شرح وتكميل: محمد الطاهر ابن عاشور، راجعه وصححه: محمد شوقي أمين، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، الجزء الرابع، ص١٦٦.

رمح بيد جميع الشعب"[1]، فالمفارقة تحضر في إضافة الحزن إلى كنعان، الذي يرمز إلى الغلبة على العبرانيين، وهو أمرٌ يكشف حالة الأمّة، وضعفها في الحفاظ على مكتسباتها.

و-الفارس المطعون بحراب أهله:

العنوان يُحفّز المتلقي، لكنّه لا يتجلّى إلّا بعد قراءة النص، إذ يرتبط بشخصية عنترة بن شداد، وما مرّ به من أحداث، فهذا الفارس لا يشكو من طعن الأعداء، بل من غدر الأهل، وهذا العنوان يكشف عن المأساة التي تتبدّى من خلال تخلّي الأقرباء، وهي بمثابة طعنة لا يمكن تجاوزها، إذ يُمثّل اسقاطًا على التفكك العربي تجاه قضايا الأمّة، وخذلان بعضهم بعض.

يتبيّن أنّ العناوين السابقة ترتبط بشكل مباشر مع عنوان الديوان، والشكل التالي يُبيّن هذه العلاقة:

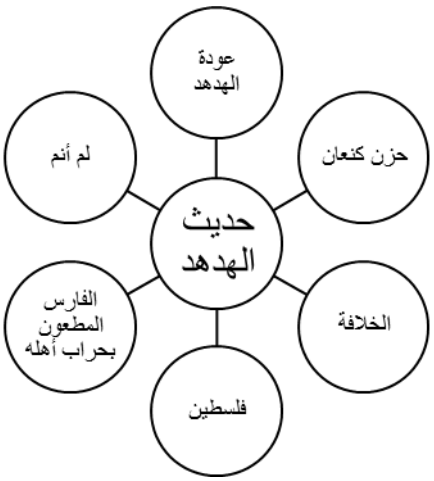

الشكل (٢) عنوان الديوان، وعناوين القصائد

يُبيّن الشكل السابق مدى العلاقة بين عنوان الديوان، وعناوين القصائد، فحديث الهدهد يُمثّل محوراً رئيسًا، لذا جاء الديوان موسومًا به، ولن يتحقق هذا الحديث إلّا بعودته، هذه العودة التي تتبدّى من خلالها حالة الأمّة الإسلامية، فالحزن وعدم القدرة على النوم، يتجلّى في ضياع فلسطين، والتخاذل المتفشيّ في الأمة، ممّا أدّى إلى ضياع المكتسبات التي حققها العرب في الماضي زمن الخلافة.

ثانيًا: القصائد:

لم يقف التناص والاستدعاء عند حدود العناوين، بل ظهر في القصائد، وجاء تأكيدًا للهاجس الذي يؤرق الشاعر، ممّا أدّى إلى حضور الهدهد في قصيدة ((جبرة)) عندما يقول:

(١) الكتاب المقدّس، **سفر صموئيل الأول**، الإصحاح الثالث عشر، ص ٤٤٦.

أحنُّ إلى هدهدٍ عالمٍ بالحياةِ

اصطفيتُ له الموتَ عصريةً

عصرَ (جَبْرةَ)

والعمرُ طفلٌ ووحدي أصوّبُ برداً حديداً

على الخضرةِ البكرِ والماءِ

والهدهدُ المطمئنُّ إلى حكمةٍ

يتهادى على ماءِ حكمتِهِ[١]

يعنون الشاعر قصيدته بـ(جبرة) وهو منبع ماء في الطائف، فالماء والهدهد يرتبطان بعلاقة قديمة، تناقلتها الأخبار، يقول راشد عيسى: إنّ الدراما تُسيطر على النص، إذ يعمد الشاعر إلى توظيف الهدهد في حديث نفسي فلسفي يُحمله الكثير من القيم الإنسانية والحياتية والفكرية وصراعات النفس الذاتية مرتكزاً في توظيفه على رمزيات الهدهد التراثية فهو دليل المعرفة والماء[٢]، فالشاعر يعود بذاكرته إلى مرحلة الطفولة، لكنّ العودة مُغلّفة بالحزن، إذ يذكر تلك اللحظة التي تسببت في موت الهدهد، فجهل الطفولة لم يجعله يعي قيمة هذا الطائر، وكأنّ الشاعر يُسقط على نفسه أحد أسباب الحالة المأساوية للوطن العربي، فجهل الطفولة أدّى إلى قتل الحكمة، ممّا يدلّ على تمكّن هاجس الوطن من مشاعره، فبات جزءًا من الضياع.

ويواصل التناص المتعلّق بالهدهد في الحضور، وذلك في قصيدة ((عودة الهدهد)) يقول:

فمن أين جئت

وكيف انطلقتَ من العقلِ

قد كنت أحكمتُهُ

كنت أحكمتُ بالجهلِ دفنَكَ

من أين جئت؟

(١) الحربي، محمد جبر، **حديث الهدهد**، ط١، دار أعراف الرياض، ٢٠١٠م، نسخة مصوّرة من الديوان على الموقع الرسمي للشاعر: http://online.fliphtml5.com/lrcv/uboq/#p=2

(٢) عيسى، **الشجن العالي في هدهد الحربي**:http://www.alriyadh.com/1031925

هل جئت من سبأٍ باليقين؟![1]

تحضر في المقطع السابق ثنائية متضادة، تتمثّل في الجهل والحكمة، إذ يظهر الجهل في طفولة الشاعر، التي أدّت إلى قتل الهدهد، في حين ترتبط الحكمة بالهدهد، فحديث النفس، والحوار مع الذات، يكشف الدهشة التي تعتري الشاعر؛ لأنّ جهله أدى إلى قتل الحكمة، ثم يحضر التناص الديني مع قوله تعالى:(مَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)[2]، للدلالة على ارتباط هذا الطائر بالحكمة، وقدرته على الحصول على الأخبار، ممّا يدلّ على ندم الشاعر من جهله، الذي أودى بالحكمة.

ثم يقول في القصيدة نفسها:

هل أتيت تعذّبني أيها الهدهد العذبُ

قد كنت طفلاً

فكيف على آخر العمر تأتي

تهدد بالصحو نومي[3]

يواصل الشاعر معاتبة الذات، من خلال سؤال الهدهد، ومحاولة تبرير ما حدث، وإلصاق هذا الخطأ بجهل الطفولة، ثمّ يقول:

سأخبرك الآن عن قصتي فاروِها:

أخبر الناس

أخبرْ سليمانَ أنّا

تقطّعت الأرضُ من حولنا

ومادت بنا السفن الغاديات

وما أثمرت سحبنا بالرّواحِ،

وما كان فينا يهود

(١) الحربي، **حديث الهدهد**، ص٧.

(٢) سورة النمل، آية ٢٢.

(٣) الحربي، **حديث الهدهد**، ص٨.

لكي تتشابه أبقار تلك القرى.

ما اعتدينا بسبتٍ

لكي نتمزّق في التيه،

سبحانهُ..

كيف ضاعت بلاد تعبنا على فتح أسوارها،

كيف صِرنا أسارى،

وضاع خراج السّحابْ..؟

سليمان مات،

أتذكرُ..؟!

والجنّ مستعبدٌ رأسهم

كيف صِرنا على الوهم مُستعبدات ضمائرُنا

وما مِن قيودٍ لتحْجُبَ عزتنا

نحن قوم لنا الأرضُ طاهرةٌ

والصفوفُ لنا كانتظامِ ملائكةٍ للإلهْ.(١)

يبيّن الشاعر ما يجول في خاطره، فيلجأ إلى الهدهد؛ لأنّه يثق في حكمته وإيصال الأخبار، فالوضع الراهن يدعو إلى تبرير ما يحدث في هذه الأمّة، لذا حضرت الأحداث التاريخية، وتجلّت من خلال الاستدعاء، فالمقطع السابق يحفل بالأحداث، إذ يبدأ برواية القصة للهدهد، مستدعيا شخصية سليمان–عليه السّلام–، وذلك لارتباط الهدهد بهذه الشخصية من جهة، ورمزية الملك، والسيطرة التي كان يتمتع بها نبي الله، ثمّ تأتي عدة حوادث تاريخية، تتمثّل في:

- قصة اليهود والبقرة: وهي استدعاء لما ورد في قوله تعالى ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُون﴾(٢).

(١) الحربي، **حديث الهدهد**، ص٩–١٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٧٠.

- حادثة السبت: وهي استدعاء لما ورد في قوله تعالى ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(١).

يستدعي الشاعر هذه الحادثتين اللتين كانتا سببًا في غضب الله من اليهود، لتبرير الموقف، ومحاولة الكشف عن أخطاء الأمّة، التي لم تصل إلى فداحة هذه الحادثتين، ثمّ يستدعي قصة خراج السحاب(٢)، وهارون الرشيد، متسائلًا عن سبب ضياع هذه الأمجاد التي حققتها الأمّة، فالأخطاء لم تكن بقدر ما ضاع من أمجاد.

كما يستحضر موت سليمان–عليه السّلام–، للتأكيد على ضياع السيطرة، وعدم الحفاظ على مكانة الأمّة، ويتبيّن أنّ الهدهد المخاطب ليس إلّا طائر أعاده خيال الشاعر للحياة، بعد أن كان سببًا في موته، والرسالة موجّهة للنبي سليمان–عليه السّلام–ممّا يكشف عن حالة من التوتر، والضياع، فحامل الرسالة (الهدهد)، ومُتلقي الرسالة (النبي سليمان)، ليسا على قيد الحياة، فتتجلّى مأساوية الأمر، إذ لم يجد الشاعر من يشعر به، فعمد لهذه الاستدعاءات من أجل مواكبة ما يراه في الأمّة، ويرى راشد عيسى أنّ الشاعر يتقمّص شخصية الهدهد بكل صفاتها من حكمة وصبر واستقلال وخبرة، وهي قناع روحاني للذات المتشظية، فالشاعر كان يتمنى لو أن الهدهد الحكيم (فيه) ظل غافلاً؛ لتتم الغفلة المؤنسة بدلاً من الصحو الذي يحمل معه العذاب(٣).

فالهدهد في المقاطع السابقة، يمُثّل دلالات رمزية، يمكن بيانها في الشكل الآتي:

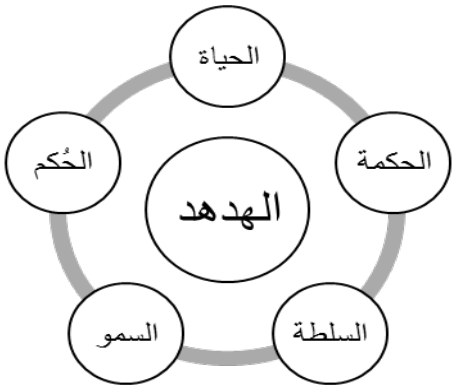

الشكل (٣) دلالات الهدهد

(١) سورة الأعراف، آية ١٦٣.

(٢) يُقال أنّه نظر في يوم من الأيام لسحابة، وقال: أمطري حيثما شئت فسوف يأتيني خراجك، وهي دلالة على اتساع رقعة الدولة في ذلك الوقت.

(٣) عيسى، **الشجن العالي في هدهد الحربي**، http://www.alriyadh.com/ ١٠٣١٩٢٥

هذه الدلالات توافرت في النصّين (جبرة–عودة الهدهد)، لكن الحضور المميّز لهذا الطائر، بدأ بلحظة انكسار تعتري الشاعر، من خلال الحنين إلى الماضي، والعودة إلى ذلك المكان الذي يضمّ ذكريات الطفولة التي لا تخلو من حزن بسبب العمر، والتصرفات الطفولية، ومنها: قتل الهدهد، وكأنّه يُحمّل نفسه المأساة التي تعانيها الأمّة، فالطائر الذي قتله له قيمة في التراث القديم، ومنه نتعلم الكثير، فالهدهد يُمثّل معادلًا موضوعيا للشاعر، وحضوره في الديوان استدعى التاريخ والدين والأساطير، ممّا منح النصّ دلالات، تتجلّى من خلالها القيم المفقودة في الوطن العربي.

ويستمرّ الشاعر في التقاطعات النصية، والاستدعاءات التاريخية، المواكبة للهاجس المتغلغل في أعماقه، إذ يقول في قصيدة ((حزن كنعان)):

هو شاعر ما مات

أبصر ليله يذوي فأشعل صبحه

شدته يافا

من مزاج الخيل

لم تسأله ماذا يفعل الشعراء عند الفجر

ماذا يفعل الغرباء في ليل شديد الهول

ماذا يفعل الإنسان

ولا وطن

ولا منفى

ولا رأس

ولا بأس

ولا شمع

ولا أشلاء

...

هي كف يافا

لا تكف عن العطاء إذا تجهمت السماء

هي التمام لنقص أيام الصحاري

واكتمال القادرين على العطاء[١]

تحضر مدينة يافا[٢] الفلسطينية في المقطع السابق، وهو حضور مرتبط بـ(كنعان)، إذ أسس الكنعانيون هذه المدينة، وارتباط الحزن بكنعان دلالة على ضياع هذه المدينة، التي باتت تحت يد المغتصبين، لكنّ الشاعر يحاول إبعاد هذا الحزن، والشعور بالألم، ممّا يحدث في فلسطين، من خلال تسلية النفس بذكر مناقبها، وقيمتها، فـ (يافا) في نظر الشاعر تحولت إلى مدينة أسطورية، تتجلّى قدرتها في احتواء الإنسان، وعدم رفضها لأي شخص، فهي صامدة في وجه الأعداء، ولا تتغيّر طبيعتها، لذا لا تسأل عن أيّ شيءٍ، وهذه الصفات التي تتمتع بها يافا، قادت الشاعر إلى التناص مع بيت المتنبي:

وَلم أرَ في عُيُوبِ النّاسِ شَيْئاً كَنَقصِ القادِرِينَ على التّمَامِ[٣]

لكنّه يخالف هذا التناص، لأنّه يرى أنّ يافا لا نقص فيها، فهي الكمال والتمام، إلّا أنّها لم تتمكن من تحرير نفسها، وهي دلالة على السخرية من حالة الأمّة التي لم تعرف قيمة هذه المدينة، وغيرها من المدن، التي سقطت في يد الأعداء.

ويقول في قصيدة ((كم أحب السنين)):

شِخْتُ..؟!

لا..

ربّما داهمتني الكهولةْ

ربّما داهم اللّيل فينا نهارْ..

غيرَ أنّ الرّفاق الكبار بِهِمْ مَن تقدَّم:

كُثر من السّادة الأولين:

---

(١) الحربي، **حديث الهدهد**، ص٤٥.

(٢) من أقدم وأهم مدن فلسطين التاريخية على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، ويمتدّ تاريخ يافا القديم إلى حوالي ٤٠٠٠ آلافِ سنةٍ، فاسمُها في الأساس مشتق من الاسم الكنعانيّ "يافي Yafi"، ومعناه الجميلة، كانت لفترة طويلة تحتل =مكانة هامة بين المدن الفلسطينية الكبرى من حيث المساحة، وعدد السكان، والموقع الاستراتيجي، حتى تاريخ وقوع النكبة عام ١٩٤٨م، وتهجير معظم أهلها، يُنظر:

– الأحمد، سامي، **تاريخ فلسطين القديم**، ط١، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٩م.

– المرعشلي، أحمد، وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤م.

(٣) المتنبي، أبو الطيب أحمد (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) **الديوان**، وضعه: عبدالرحمن البرقوقي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م، الجزء الرابع، ص ٢٧٥.

الأبُ المتنبي العظيمُ بكِندةَ،

والشنفرى المتكبّر كالنّخل في جُرحهِ،

وابنُ ريْب على غربةِ وأنينْ

...

آه يا أيُّها المتنبي المكينْ

جُد علينا بختم رزين:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وحسب المنايا أن يكن أمانيا

تمنّيتها لما تمنّيت أن ترى

صديقًا فأعيا أو عدوا مداجِيا[١]

يتجلّى الإحساس بالعمر في النصّ السابق؛ لأنّ مرور الزمن يترك أثره على الشاعر، إلّا أنّه يحاول مقاومة هذا الشعور، ويحاول أن يُلقي هذا الشعور على رفاقٍ اصطفاهم من ذاكرة التاريخ، فتحضر ثلاث شخصيات، تتمثّل في:

- المتنبي: ويجعله الأب العظيم، لأنّه يُمثّل الاعتداد بالنفس، والسعي لتحقيق الحلم.
- الشنفرى: يُمثّل الرفض، والتمرّد على الواقع.
- مالك بن الريب: يُمثّل الرفض والتمرّد، ثمّ الخروج عن هذا النطاق، الذي أدّى غربته.

يتبيّن أنّ الشاعر استدعى شخصيات، تواكب حالته في محاولة الخروج عن واقع العمر، والهروب من الحقيقة المتمثّلة في حالة الأمّة رغم مرور الزمن، ثمّ يعود إلى التناص من خلال نداء المتنبي، واستدعاء قوله:

كَفى بِكَ داءً أَن تَرى المَوتَ شافِيا وَحَسبُ المَنايا أَن يَكُنَّ أَمانِيا

تَمَنَّيتَـها لَمـّا تَمَـنّـَيتَ أَن تَـرى صَديقاً فَأَعيا أَو عَدُوّاً مُداجِيا[٢]

وهذا التناص يكشف عدم القدرة على تحقيق الحلم، فالمتنبي لم يصل إلى مبتغاه، والشاعر يحاول أن يُعزي النفس، ويقنعها بأنّ الأحلام، والأماني قد لا تتحقق.

(١) الحربي، **حديث الهدهد**، ص٢٥-٢٦.

(٢) المتنبي، ديوان، مرجع سابق، ص ٤١٧.

ويواصل الشاعر التناص الأدبي، حينما يستدعي شطرًا من بيت شعر للشنفرى في قصيدة ((البيت))، إذ يقول:

بسمل حين استفاق فقال:

اترِك البيت

قلتُ: أنا..؟

نعم أنت ردّ

فلمْ اضطرِبْ

كان حلْمًا

ربّما كان وهمًا

ولكنّني

وإيمان من قال:

وفي الأرض منأى للكريمِ عن الأذى

تركتُ له البيتَ والأمنياتْ(١)

يُمثّل المقطع السابق حدثًا لم يكن يتوقعه الشاعر، فالخروج من المكان الذي سكن فيه، وبشكل مفاجئ، أدّى إلى التناص مع صدر بيت الشنفرى:

وفي الأرضِ مَنْأَى للكريمِ عن الأذى وفيها لمنْ خافَ القِلَى مُتَعزّلُ(٢)

ممّا يعكس فداحة الأمر الذي عانى منه، لكنّه تمكّن من تجاوزه، وتحقيق ما يريد، فهذا التناص يُبيّن إيمان الشاعر بذاته، وهي فرصة لاكتشاف الآخرين، وتقييم العلاقات، في جميع مناحي الحياة، ومن ضمنها العلاقات بين الدول، وهذا أدّى إلى التناص الديني من خلال استحضار قصة يوسف–عليه السّلام–وأخوته، التي تُمثّل توتر العلاقة والروابط بين الإخوة، عندما يقول في القصيدة نفسها:

فرصة لاكتشاف الوجوهِ

الرِّجالِ

(١) الحربي، **حديث الهدهد**، ص٣١.

(٢) الشنفرى، عمرو بن مالك، (ت٧٠ ق.هـ/٥٢٥م) **الديوان**، جمعه وحقّقه وشرحه: أميل بديع يعقوب، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص٥٨.

الصّداقات

إخوة يوسف

ها أنّني ها هنا

هكذا يا حبيبي

ومسكي

وطيبي

أخاطبُكَ اليوم من بيتِ شعر

أتعرفُهُ..؟![١]

فالترحال وعدم الاستسلام لهذه المواقف، أدّى إلى كشف زيف هذه العلاقات، كما يُبيّن نجاحه في تحقيقه أحد أحلامه، فالأحلام مشروعة لكلّ امرئ، لكنّ تحقيقها يتوقف على المعطيات المتوفرة.

ويقول في قصيدة ((الفارس المطعون بحراب الأهل)):

لا تحزني يا حرةً عربيّةً ملكتْ زِمامَ منيّتي

فلقد ذكرتكِ والرماحُ نواهِلٌ

منيِ وبيض الهندِ تقطر من دمي

فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها

لمعتْ..

ولم يحضرْ أحدْ..[٢]

يوجّه الشاعر خطابه لكلّ حرة عربية، محاولًا أن يجعلها تشعر بالطمأنينة، ثمّ يتناص مع بيت عنترة بن شداد:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل وبيض الهند تقطر من دمي

فودتت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم[٣]

(١) الحربي، **حديث الهدهد**، ص٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٣) العبسي، عنترة بن شدّاد (٢٢ق.هـ/٦٠٠م)، **الديوان**، شرح الخطيب التبريزي، قدّمه ووضع هوامشه: مجيد طراد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢، ص١٩١.

هذا التناص المتوّج بفارسٍ يعاني من غدر الأهل، يؤدي إلى عدم اكتمل عجز البيت الثاني من بيت عنترة، إذ تحضر المفارقة مع هذا الاستدعاء، لأنّ هذه العربية لم يلتفت إليها أحد، فالكلّ تخاذل عن جدتها، فالتناص والمفارقة في المقطع السابق يكشف عن السخرية من حالة الأمّة، وضياع حقوقها، تقول أمل القثامية: إنّ الشاعر يكرر جملة (لم يحضر أحد) ستة مرات، دلالة على استسلام المواطن العربي لهذا الضعف الذي تعيشه الأمة العربية(١).

ثمّ يقول في القصيدة نفسها:

هي فتنة عظمى

لصوص مارقون تمكنوا منا ومن أشياعِهمْ

شيعٌ وتجارٌ وأشباح شواحبُ من غثاءِ السيل

باعوا عرشنا

لا دودةٌ حفلتْ بمنسأةٍ

ولا إنسٌ أفاقوا

فتنة كبرى ولم يحضرْ أحدْ..(٢)

يحضر التناص الديني من خلال حادثة الدودة في قصة سليمان–عليه السّلام–التي وردت في قوله تعالى (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)(٣)، تقول أمل القثامية: "إنّ الدود في أمتنا لم تبال بآلة الزمن وعصا الملك، كما هي في تاريخ حادثة سليمان–عليه السّلام–، وهي شفرة قوية للدلالة على مدى ما وصلت إليه الأمة العربية من ضعف وفشل، مكنت اللصوص، والمارقين، والأشباح، من بيع عرشنا، وملكنا، وهويتنا، ومع هذا لم يشعر، ولم يحضر أحد(٤)، ممّا يعكس الصراع مع هاجس الوطن، الذي يلّحُ عليه.

(١) القثامية، أمل، **ما بين عنترة والهدهد: قراءة للسياقات التراثية في شعر محمد جبر الحربي**، ١٨ فبراير، ٢٠١٤م، دراسة منشورة في الموقع الرسمي للشاعر، نقلًا عن الرابط الإلكتروني:/https://mjharbi.com/index.php

(٢) الحربي، **حديث الهدهد**، ص٦٢.

(٣) سورة سبأ، أية ١٤.

(٤) القثامية، **ما بين عنترة والهدهد...**، مرجع سابق، (بتصرف)

الخاتمة:

قراءة ديوان (حديث الهدهد) تكشف الانتماء للوطن العربي، والمتجذّر في ذهن الشاعر، فالشاعر ينتمي لهذا الوطن، الذي عانى الويلات، وفقد السيطرة على مكتسبات الماضي، وعجز عن الحفاظ على الأمجاد، وفي هذا الديوان تجلّت النزعة القومية عند الشاعر محمد جبر الحربي من خلال هاجس الوطن، وسيطرته على قصائد الديوان، وكان الاستدعاء التاريخي، والأدبي، والديني، من الأدوات التي نقلت هذه المشاعر المتغلغلة في الشاعر، إذ جاء عنوان الديوان، إيذانًا لعودة الهدهد، لأنّ الشاعر يبحث عن الحكمة المفقودة في الوطن العربي، كما يحاول الوصول إلى الخلاص من الوضع المأساوي لهذه الأمّة، وترى أمل القثامية: إنّ الوجودية تسيطر على ذات الشاعر من خلال البحث عن الحقائق الكونية التي تمزقت بين الحسية والروحية، فالغربة الروحية تتبدّى مع الرمز الشعري المتمثّل في الهدهد، ودلالات الماء (الحياة–المعرفة–الخلاص)[١]، ثمّ جاءت عناوين القصائد مرتبطة بالأمّة، فكان (حزن كنعان) دلالة على فقدان يافا، التي تُمثّل رمزية لكلّ شبر فقدته الأمّة من أرضها، وكذلك عناوين: (فلسطين، والخلافة، لم أنم، والفارس المطعون بحراب أهله)، تمثّل مرارة الفقد، والحسرة على تمزّق الأمّة، وجاء التناص الأدبي مرتبط بثلاثة شعراء، هم: المتنبي، وعنترة، والشنفرى، تتجلّى من خلالهم البحث عن العزة، والكرامة، والشجاعة، ورفض الواقع، والتمرّد على الوضع الراهن، في حين يحضر مالك بن الريب للدلالة على الإحساس بالغربة، والأنين على هذا الألم، كما جاء التناص الديني مُعززًا لحالة الدهشة التي تعتريه، فتضافرت التقاطعات النصية، والرموز، والشخصيات التراثية، مُشكّلة هاجسًا يعتري الشاعر، تجاه الوطن العربي، فما يحدث من صراع، وتفكك، وضياع، تجلّى في هذا الديوان، مُعززًا الانتماء لهذا الوطن من جهة، ومبينًا الوضع المأساوي بصورة تراثية تعتمد على التناص.

(١) القثامية، **ما بين عنترة والهدهد...**، مرجع سابق.

المراجع

ابن برد، بشار (ت١٦٦هـ/٧٨٥م)، الديوان، شرح: محمد الطاهر ابن عاشور، راجعه وصححه: محمد شوقي أمين، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، الجزء الرابع.

ابن منظور، جمال الدين محمد (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، مادة (هـ ج س)، ط٣، دار صادر، بيروت،١٩٩٤م.

أبو نوار، معن، بين القومية والوطنية، دار اللام، لندن، ١٩٩١م، ص١٨٩.

الأحمد، سامي، تاريخ فلسطين القديم، ط١، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٩م.

الأحمدي، مجدي، الرؤيا والتشكيل: دراسة في شعر محمد لافي، ط١، نادي تبوك الأدبي/مؤسسة الانتشار، بيروت، ٢٠١٧م، بيروت.

بلعابد، عبدالحق، عتبات (جيرار جينيت من النصّ إلى المناص)، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر/ الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٨م.

ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، المُحكم والمحيط الأعظم، مادة (هـ ج س)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الرابع، ٢٠٠٠م.

تودوروف، تزفيتان، في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة: أحمد المديني، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

الثامري، ضياء، "العنوان في الشعر العراقي المعاصر: أنماطه ووظائفه"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد ٩، العدد٢، ٢٠١٠م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م) الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ج١.

الجوهري، إسماعيل حمّاد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م) تاج اللغة وصحّاح العربية، مادة (هـ ج س)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦م.

الحربي، محمد جبر، الموقع الرسمي:-https://mjharbi.com/index.php/2009-08-07-18-50-19

الحربي، محمد جبر، حديث الهدهد، ط١، دار أعراف الرياض، ٢٠١٠م، نسخة مصوّرة من الديوان على الموقع الرسمي للشاعر: http://online.fliphtml5.com/lrcv/uboq/#p=2

الحقباني، نداء، تجليات السرد في ديوان حديث الهدهد للشاعر محمد جبر الحربي، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط، ع٦٤ ، ٢٠١٧م.

حمداوي، جميل، "السيموطقيا والعنونة"، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٥، العدد٣، يناير/مارس ١٩٩٧م.

رفاعة، أنور، وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، مطبعة جامعة دمشق، د.ط، ١٩٦٧م.

الرواشدة، سامح، فضاءات الشعرية (دراسة في ديوان أمل دنقل)، ط١، المركز القومي للنشر، إربد، ١٩٩٩م.

الزعبي، أحمد، التناص: نظريا وتطبيقيا، ط١، مكتبة الكتاني، أربد، ١٩٩٥م.

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سُنن أبي داود، الجزء السابع، حققه وضبطه وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط١(طبعة خاصة)، حديث ٥٢٦٧، دار الرسالة، دمشق، ٢٠٠٩م.

الشنفرى، عمرو بن مالك، (ت٧٠ ق.هـ/٥٢٥م) الديوان، جمعه وحقّقه وشرحه: أميل بديع يعقوب، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

عبدالرزاق، سهلي، ومنير، بين بيتش، البعد الوطني في شعر حافظ إبراهيم، رسالة ماجستير، جامعة محمد بو ضياف–المسيلة، الجزائر، ٢٠١٨م.

العبسي، عنترة بن شدّاد (٢٢ق.هـ/٦٠٠م)، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، قدّمه ووضع هوامشه: مجيد طراد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

عجينة، محمد، حفريات في الأدب والأساطير، ط١، دار المعرفة للنشر، تونس، ٢٠٠٦م.

عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ط١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٥م.

العطار، فريد الدين، منطق الطير، ترجمة: بديع محمد جمعه، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت/ سوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٥.

عيسى، راشد، "الشجن العالي في هدهد الحربي"، جريدة الرياض، العدد ١٧٠٧١، ٢٠١٥/٣/٢١م: http://www.alriyadh.com/1031925

القثامية، أمل، ما بين عنترة والهدهد: قراءة للسياقات التراثية في شعر محمد جبر الحربي، ١٨ فبراير، ٢٠١٤م، دراسة منشورة في الموقع الرسمي للشاعر محمد جبر الحربي، نقلًا عن الرابط الإلكتروني: https://mjharbi.com/index.php/

الكتاب المقدّس، سفر صموئيل الأول، الإصحاح الثالث عشر.

كرستيفا، جوليا، علم النص، ترجمة: فريد زاهي، ط٢، دار طوبقال، المغرب، ١٩٩٧م.

كوهن، جون، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

المتنبي، أبو الطيب أحمد (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) الديوان، وضعه: عبدالرحمن البرقوقي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م، الجزء الرابع.

المرعشلي، أحمد، وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤م.

مفتاح محمد، تحليل الخطاب الشعري، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

الشمري، محمد علي، شعراء الخليج، أشعارهم، حياتهم، دار الأهلية للنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.